الْأَسَالِيبُ الْبَلَاغِيَّةُ فِي حَدِيثِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

-تَأَمُّلٌ وَتَحْلِيلٌ-

بِقَلَم: زَكَرِيَّاءَ تُونَانِي

الْـحَمْدُ لله الرَّحِيمِ الرَّحْمَنِ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ بُعِثَ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ وَفَوَاتِحِهِ وَخَوَاتِمِهِ إِلَى الْإِنْسِ وَالْـجَانِّ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الذِينَ فَاقُوا فِي الْفَصَاحَةِ قُسًّا وَسَحْبَانَ؛ أَمَّا بَعْدُ:

فهذه مَسَائِلُ بَلَاغِيَّةٌ تَضَمَّنَهَا حَدِيثٌ عَظِيمٌ، يُسَمَّى: **أُمَّ السُّنَّةِ**[1]، واشْتَهر بحديثِ جِبْرِيلَ عليهِ السَّلَامُ، لا يُتَفَطَّنُ لها عندَ أوَّل قراءةٍ للحديثِ، إلَّا بالتَّكرار والتَّأمُّلِ والتَّحليل، ومُطالعةِ الشُّرُوح والحَوَاشِي التي دوَّنها أَهْلُ العِلْمِ، وقد جمعتُها وجعلتُها على شَكْلِ عَنَاصِرَ مُرَقَّمَةٍ، مرتَّبَةٍ وِفْقَ ورُودِها في الـحديث[2].

وَهَذَا أَوَانُ الشُّرُوعِ فِي الْـمَقْصُودِ، وعَلَى الله اعْتِمَادِي، وَإِلَيْهِ تَفْوِيضِي وَاسْتِنَادِي.

* أَوَّلًا: نَصُّ الْـحَدِيثِ[3]:

عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلاَمِ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**الإِسْلاَمُ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**»؛ قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ؟ قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِالله وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»، قَالَ

---

[1] فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر، (1/ 125).

[2] ولَـمْ أَقتَصِرْ فيه عَلَى الْـكَلَامِ الْـمَرْفُوعِ؛ بَلْ أَدْخَلْتُ فيه كَلَامَ جِبْرِيلَ عليه السلامُ وكلامَ عُمَرَ رضي اللهُ عنهُ تَتْميمًا للفائدةِ؛ ورُبَّما زِدْتُ بعضَ الفوائدِ غَيْرِ البلاغيَّةِ إِذَا اقْتَضَى الـمَقَامُ ذلكَ.

[3] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدَر وعلامة الساعة، (رقم: 102).

صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ؟ قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: «**مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**»، قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا؟ قَالَ: «**أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ**»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ لِي: «**يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ**»، قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ، أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**» رواهُ **مُسْلِمٌ**.

* ثَانِيًا: الْأَسَالِيبُ الْبَلَاغِيَّةُ فِي حَدِيثِ جِبْرِيلَ:

1 * (**ذَاتَ يَوْمٍ**) أي: بينَمَا نحْنُ في ساعةِ ذاتِ مرَّةٍ في يومٍ[4].

فحُذِفَتْ هذه الْـمُضَافَاتُ؛ لوُضُوح الأمْرِ، كما حُذِفَتْ مِنْ قَوْلِ الشَّاعِرِ[5]:

إِذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ الْـمِسْكُ مِنْهُمَا نَسِيمَ الصَّبَا جَاءَتْ بِرَيَّا الْقَرَنْفُلِ

أي: تَضوعَ تَضَوُّعًا، مِثْلَ تَضَوُّعِ نَسِيمِ الصَّبَا[6].

* فيكونُ مِنْ **إِيجَازِ الْـحَذْفِ**[7] عند الْبَلاغيِّينَ.

2 * (**إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ**)، (**إِذْ**) ظرفُ زَمَانٍ مَاضٍ لِلْمُفَاجَأَةِ، [وهو جَوَابُ **بَيْنَمَا**]، التَّقْدِيرُ: بَيْنَ أزمنةِ كَوْنِنَا عِنْدَهُ، فاجَأَنَا طُلُوعُ رَجُلٍ أي: دُخُولُهُ عَلَيْنَا[8].

وهنا: عَبَّرَ بِالطُّلُوعِ إِشْعَارًا بِتَعْظِيمِهِ ورِفْعَةِ قَدْرِهِ؛ وفيه **اسْتِعَارَةٌ تَصْرِيحِيَّةٌ**؛ لأنَّه شَبَّهَ ظُهُورَهُ في ارْتِفَاعِ الشَّأْنِ بطلوعِ الشَّمْسِ؛ فحذفَ الْـمُشَبَّهَ (**الظُّهُور**) وصرَّحَ بالْـمُشَبَّهِ به (**الطُّلُوع**)، ثُمَّ اشْتَقَّ مِنَ (**الطُّلُوعِ**) -بمعنى الظُّهور- الْفِعْلَ (**طَلَعَ**)؛ على سَبِيلِ **الاسْتِعَارَةِ التَّبَعِيَّةِ**.

أو: شَبَّهَ الرَّجُلَ بِالشَّمْسِ، فحذفَ الْـمُشَبَّهَ به (**الشَّمْس**)، ورَمزَ له بِشَيْءٍ من لوازِمِهِ، على سَبيلِ **الِاسْتِعَارَةِ الْـمَكْنِيَّةِ**.

---

[4] حاشية النبراوي على الأربعين النووية (ص 34).

[5] هو امرؤُ القَيْس، قالها في مُعَلَّقَتِهِ.

يُنظر: الـمعلقات العشر وأخبار شعرائها؛ لأحمد الأمين الشنقيطي، (ص 63).

[6] يُنظر: الـمعين على تفهم الأربعين لابن الـملقن، (ص 83).

[7] وهو حَذْفُ كلمةٍ أو جملةٍ أو أكثرَ مَعَ قرينة تُعَيِّنُ الْـمَحْذُوفَ.

يُنظر: البلاغة فنونها وأفنانها (علم الـمعاني)، فضل حسن عباس، (ص 459).

[8] حاشية النبراوي على الأربعين، (ص 34).

3 * قولُهُ: (**رَجُلٌ**) أي: مَلَكٌ فِي صُورَةِ رَجُلٍ.

ونكَّرَهُ **تَعْظِيمًا**[9]؛ كما نُكِّرَتْ كلمةُ (**طَائِف**) في قولِهِ تعالى: (**فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ**)[10] [القَلَمُ: 19].

4 * (**شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ**) أي: شديدُ سَوَادِ شَعْرِهِ؛ فهو عامٌّ يَشْمَلُ كلَّ شَعْرٍ باعتبارِ اللَّفْظِ؛ ولكنَّ الْـمُرَادَ هُنا: هو شَعْرُ اللِّحْيَةِ، كما جاءَ في رِوَايَةِ **ابْنِ حِبَّانَ**: (**شَدِيد سَوَادِ اللِّحْيَةِ**)[11].

فيكونُ هذَا مِنْ إِطْلَاقِ العامِّ وإرَادَةِ الْـخَاصِّ، وهو **مَـجَازٌ مُرْسَلٌ**، عَلَاقَتُهُ: **الْـعُمُومِيَّةُ**.

5 * (**لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ**) وفي ضَبْطٍ: (**لَا نَرَى عَلَيْهِ**)؛ والأَوَّلُ: أَشْهَرُ.

وإنَّما **غَيَّرَ صِيغَةَ الْفِعْلِ**[12]، **لِلدَّلَالَةِ على الْعُمُومِ**، أيْ: لَوْ رَآه أيُّ رَاءٍ لَـما وَجَدَ فِيهِ أَثَرَ السَّفَرِ؛ بخلافِ: (**لَا نَرَى عَلَيْهِ**) فيَحْتَمِلُ اختصاصَه بالْـحَاضِرِينَ[13].

6 * (**حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم**) أي: اسْتَأْذَنَ ودَنَا حتى جَلَسَ؛ كما تُوَضِّحُه الرِّواياتُ الأُخْرَى[14].

ففيه: **إِيـجَازُ حَذْفٍ**.

---

[9] **والتَّنْكِيرُ له عِدَّةُ أغراضٍ؛ منها: التَّعْظِيمُ والتَّحقِيرُ، والتَّكثيرُ والتَّقليلُ، وإخْفاءُ الأمرِ، وقَصْدُ الإفْرادِ أو النَّوْعِيَّةِ.**

يُـنظر: جواهر البلاغة، لأحمد الهاشمي، (ص 121-122).

[10] **فهو طائفٌ عظيمٌ إذْ هو عذابٌ من الله؛ بخلاف (طَائِف) فِي قولِهِ تعالَى: (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا) [الأعراف: 201]، فإنَّها نُكِّرَتْ تَحْقِيرًا؛ لأنَّه من الشَّيْطانِ، وقد قال تعالَى: (إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا) [النساء: 76].**

[11] **صحيح ابن حبان [ترتيب ابن بلبان]، كتاب الإيمان، باب فرض الإيمان، (1/ 390؛ رقم:168).**

[12] **أيْ: بُنِيَ لِلْـمَجْهُولِ.**

ويُحْذَفُ الْفَاعِلُ، ويُقَامُ الْـمَفْعُولُ بِهِ مُقَامَه؛ لأَغْراضٍ منها: الْـجَهْلُ بالفاعِلِ أو العلمُ بِهِ، أو للخَوْفِ مِنْهُ أو عَلَيْهِ، أو لِصَوْنِهِ عنِ اللِّسَانِ أو صونِ اللِّسَانِ عنهُ، أو لِرِعَايَةِ السَّجْعَةِ.

[13] **ومِنْ هنا قال ابْنُ الْـمُلَقِّنِ عن الضَّبْطَيْنِ: (وكلاهما واضِحُ الْـمَعْنَى، والأَوَّلُ أَبْلَغُ).**

يُـنظر: الـمعين على تفهم الأربعين لابن الـملقن، (ص 85).

[14] **سنن الـنسائي (الْـمُجْتَبَى)، كتاب الإيمان وشرائعه، باب صفة الإيمان والإسلام، (رقم: 5008).**

7 * (**جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم**) أي: جَلَسَ عِنْدَهُ أو مَعَهُ.

ففيه **تَضْمِينٌ**[15]؛ والْـمَعْنَى -والله أعلمُ-: حَتَّى **جَلَسَ** [عِنْدَهُ وَآوَى] **إِلَيْـهِ**.

8 * (**وقَالَ: يَا مُحَمَّدُ**) قَدْ يُسْتَشْكَلُ هذا بِحُرْمَةِ نِدَائِهِ صلى الله عليه وسلم بِاسْمِهِ، قال تعالى: (**لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا**) [النور: 63]، وأُجِيبَ بأجوبةٍ، منها: أَنَّه يحتَمِلُ أَنَّ حرمةَ ذلك عَرَضَتْ بَعْدَهُ؛ أو أنَّه نَادَاهُ تَعْمِيَةً حتَّى لا يُعْرَفَ، أو أنَّ النهيَ في الآيةِ لِمَنْ بُعِثَ إليهم النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وهم الْـجِنُّ والْإِنْسُ اتِّفَاقًا، بخلافِ الـملائكةِ؛ ففي رِسَالتِهِ صلى اللهُ عليه وسلَّمَ إليهِمْ نِزَاعٌ.

* وفي هذهِ الْعِبَارَةِ من الْبَلَاغَةِ: أنَّه استعملَ أداةَ النِّداءِ (**يَا**) وهي -في الْأَصْلِ- لِنِدَاءِ الْبَعِيدِ[16]، مع أنَّ جِبْرِيلَ كان قَرِيبًا مِنَ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم؛ وذلكَ لتَنْزِيلِهِ مَنْزِلَةَ الْبَعِيدِ، تَنْبِيهًا عَلَى عُلُوِّ قَدْرِهِ.

ونَظِيرُ هذا الْأُسْلُوبِ؛ قولُه تعالى: (**وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي**) [الفرقان: 30]، فَفِيهِ نداءُ القَرِيبِ بالأَدَاةِ الْـمَوْضُوعةِ لِلْبَعِيدِ؛ إِذْ أَنَّ الله قد أخبرَ عن نفسِهِ بقولِهِ: (**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ**) [البقرة: 186][17].

9 * (**وقَالَ: يَا مُحَمَّدُ**).

فيه **إِيجَازٌ بالْـحَذْفِ**، والتَّقْدِيرُ: يَا أَيُّهَا الإنسانُ الَّذِي اسْمُهُ مُحَمَّدٌ؛ هذا إِذَا قُلْنَا: إِنَّ الِاسْمَ غيرُ الْـمُسَمَّى، وفيه بَحْثٌ، وقد أَفْرَدَه **الْبَطَلْيُوسِيُّ**[18] بمُصَنَّفٍ، وذكَرَ **ابْنُ كَثِيرٍ** في أوائلِ **تفْسِيرِه** الْـخِلَافَ فيها[19].

---

[15] وهو: «تَضْمِينُ كلمةٍ معنَى كلِمَةٍ أُخْرَى، وجَعْلُ الكلَامِ بعدَها مَبْنِيًّا عَلى الكلمةِ غيرِ الْـمَذْكُورة، كالتَّعْدِيةِ بالحرفِ الْـمُنَاسِبِ لِـمَعْنَاهَا، فتكونُ الجملةُ بهذا التضمينِ بقُوَّةِ جُمْلَتَيْنِ، دَلَّ على إِحْدَاهُما الكلمةُ المذكورةُ التي حُذِفَ مَا يَتَعَلَّقُ بها، ويُقَدَّرُ معناه ذهْنًا، وَدَلَّ على الْأُخْرَى الْكَلِمةُ التي جَاءَتْ بعْدَها الْـمُتَعَلِّقَةُ بالكلمةِ الْـمَحْذوفةِ الْـمُلاحَظِ مَعْنَاها ذهْنًا؛ وهذا التَّضْمِينُ فَنٌّ رَفِيعٌ مِنْ فُنُونِ الْإِيجَازِ فِي الْبَيَانِ».

يُنظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها؛ للمَيْدَانِيِّ، (2/ 49).

[16] يُنظر: جواهر البلاغة؛ لأحمد الهاشمي، (ص 89).

[17] قال السُّيُوطيُّ:

وَأَصْلُ (يَا) لَدَى النِّدَاءِ لِلْبَعِيدْ   وَقَدْ تَجِي لِغَيْرِهِ مِثْلِ الْبَلِيدْ
وَالْحِرْصِ فِي وُقُوعِهِ وَالِاعْتِنَا   أَوْ شَأْنُهُ عَظِّمْهُ أَوْ هَوِّنَا

يُنظر: شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان؛ لجلال الدين السيوطي، (ص 57) ط. دار الفكر.

[18] هكذا ضَبْطُهُ؛ نسبةً إلى (بَطَلْيُوسَ) بفَتْحَتَيْنِ وسُكُونِ اللَّامِ، ويَاءٍ مَضْمُومَةٍ و[سِينٍ] مُهْمَلَةٍ؛ وهي مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ بالْأَنْدَلُسِ.

يُنظر: معجم البلدان للحموي، (1/ 447)، ط. دار الفكر.

[19] يُنظر: تفسير القرآن العظيم؛ لابن كثير، (1/ 121 - 122).

وبحثَه بحثًا نفيسًا شَيْخُ الإسلامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ في مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى، (6/ 185-212).

والْأَوْلَى: الْكَفُّ عن الْـخَوْضِ فِي هذهِ الْـمَسْأَلَةِ[20]؛ ويُقال: إنَّ الاِسْمَ لِلْمُـسَمَّى؛ كـما قـال تعـالى: (**وَللهِ الْأَسْمَاءُ الْـحُسْنَى**) [**الأعراف**: 180].

10 * (**أَخْبِرْنِي**) .

هذهِ الصِّيغةُ: صِيغةُ أَمْرٍ (**فِعْلُ أَمْرٍ**)، والْـمُرادُ بها **الدُّعاءُ**[21]؛ لأنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم أَفْـضَلُ مِـنْ جِبْرِيلَ عليه السَّلامُ[22].

11 * (**أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلاَمِ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الإِسْلاَمُ**) .

عرَّفَ النَّبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ (**الإِسْلاَم**)، تَنْبِيهًا على أنَّه الْإِسْلاَمُ الذِي سَأَلَ عَنْـهُ، فـ(**أَلْ**) فِيـهِ لِلْعَهْـدِ الذِّكْرِيِّ.

و**الْقَاعِدَةُ عِنْدَ عُلَماءِ الْـمَعَانِي**: أنَّ الكلمةَ إنْ تكَرَّرتْ معرفةً فهي عَيْنُ الأُولَى، وإنْ تكـرَّرَت نَكِـرَةً كانـت خلافَ الأُولَى؛ قال **الْإِمَامُ السُّيُوطِيُّ** في **عُقودِ الْـجُمَانِ**[23]:

ثُـمَّ مِنَ الْقَـوَاعِدِ الْـمُشْتَهِرَهْ — إِذَا أَتَـتْ نَـكِـرَةٌ مُـكَـرَّرَهْ
تَـغَايَـرَا، وَإِنْ يُعَرَّفْ ثَـانِي — تَـوَافَـقَا، كَـذَا الْـمُـعَـرَّفَـانِ
شَاهِدُهَـا فِـيمَا رَوَيْنَـا مُسْنَدَا — لَنْ يَغْلِبَ الْيُسْرَيْنِ عُسْرٌ أَبَدَا[24]

[20] وقد نقل شَيْخُ الإسلام في الْفَتْوَى الْـحَمَوِيَّةِ عن الإمَامِ أَبِي عبدِ الله مُحَمَّدِ بْنِ خَفِيفٍ الشِّيرَازِيِّ الشَّافِعِيِّ أنَّه قـال في بيـان عقيـدة أهـل الـسنَّةِ والجماعة: (وَالْقَوْلُ فِي اللَّفْظِ وَالْـمَلْفُوظِ، وكَذلكَ فِي الاسْمِ والْـمُسَمَّى: بِدْعَةٌ).

يُـنظر: الفتوى الـحموية الكبرى لابن تيمية، (ص 46) ط. دار الكتب العلمية.

[21] فخرجَت صيغةُ الأمرِ -هنا- عن أصلِ دلالَتها في الْوُجُوبِ والْإِلْزَامِ؛ إلى معنًى آخرَ وهو الدُّعَاءُ.

لأنَّ القاعدةَ عندَ البلاغيِّين أنَّ الأمْرَ إذَا كان صادرًا من أعْلَى إلى أدْنَى فهو أمْرٌ، وإن كان بالعَكْسِ فهـو دُعـاءٌ، وإن كـان مِـن مُـسَاوٍ لِـمِثْلِه فهو الْتِماسٌ.

[22] ذكره السِّنْدِيُّ في حاشِيَتِهِ على سُنَنِ النَّسَائِيِّ؛ (4/ 125) ط. دار الكتاب العربي.

ويُـنظر: فتح القدير شرح الجامع الصغير؛ لِلْمُنَاوِيِّ، (2/ 657).

وحكَى بعضُهم الإجماعَ على ذلكَ؛ وفي الشَّرْحِ الصَّغِيرِ للدَّرْدِيرِ، (4/ 777): ما يدلُّ على أنَّ بَعْضَهُمْ توَقَّفَ.

وعَزاهُ الصَّاوِيُّ في حَاشِيَتِهِ على الشَّرْحِ الصَّغِيرِ للزَّمَخْشَرِيِّ.

[23] يُـنظر: شرح عقود الجمان للسيوطي، (ص 20-21).

[24] وبعدَهُ:

وَنَقَضَ السُّبْكِيُّ ذِي بِأَمْثِلَهْ — وَقَالَ ذِي قَاعِدَةٌ مُسْتَشْكَلَهْ =

12 * (**أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ**) أي: لَا مَعْبُودَ حَقٌّ إِلَّا اللهُ.

وفِيهِ: أُسْلُوبُ **الْقَصْرِ**، وهو: **تَخْصِيصُ أَمْرٍ بِأَمْرٍ بِطَرِيقٍ مَخْصُوصٍ**[25].

وفيه **إِيجَازُ حَذْفٍ**؛ وهو حَذْفُ خَبَرِ لَا النَّافيةِ للجِنْسِ[26]، وتَقْدِيرُهُ (**حَقٌّ**).

13 * (**وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ**).

فِيهِ: اسْتِعْمَالُ **الصَّلَاةِ** فِي غَيْرِ مَعْنَاهَا اللُّغَوِيِّ[27] -كما هنا-، فهو **مجازٌ لُغَوِيٌّ**[28].

14 * (**تُقِيمُ الصَّلَاةَ**)، أي: تُعَدِّلُ أركانَها؛ مِنْ قولِهِم: أَقَامَ الْعُودَ: إذا قَوَّمَهَ وعدَّلَهُ[29].

ففيه: **اسْتِعَارَةٌ**؛ وتُجرَى على طريقَتَيْنِ:

* **الطَّرِيقُ الْأُوَلَى**: شَبَّه الصَّلَاةَ بِالْعُودِ بجَامِعِ التَّعْدِيلِ، فحَذَفَ الـمُشَبَّهَ به، ورَمَزَ لَـهُ بِـشَيْءٍ مِـنْ لوازِمِـهِ وهو (تُقِيمُ)، على سَبِيلِ **الِاسْتِعَارَةِ الْـمَكْنِيَّةِ الْأَصْلِيَّةِ**.

* **الطَّرِيقُ الثَّانِيَةُ**: شبَّه تَعْدِيلَ الْأَرْكَانِ بِتَقْوِيمِ الرَّجُلِ الْعُودَ، واسْتُعِيرَ له: الْإِقَامَة، ثُمَّ اشْـتُقَّ منـه الفِعْـل: (تُقِيمُ)؛ فصَرَّح بالْـمُشبَّهِ به، على سَبِيلِ **الِاسْتِعَارَةِ الـتَّصْرِيحِيَّةِ التَّبَعِيَّةِ**.

= ويُشير السُّيُوطيُّ بهذا البَيْتِ إلى أنَّ بَهاءَ الدِّينِ السُّبْكِيَّ اعتَـرَضَ على القاعدةِ السَّابِقَةِ بأمثلةٍ، منها قولُ الله تعالى: (**وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ**) [الزخرف: 84]، فقد تكررتْ كلمةُ (**إِلَه**) نَـكِرَةً، وكانت عَيْـنَ الأولَى، ولو أَعْمَلْنَا القاعـدةَ الـمذكورةَ عـلى هـذه الآية؛ لَأَثْـبَتْـنَا تَعَدُّدَ الآلهةِ، وهو كُـفْـرٌ بالإجماعِ.

وأُجيبَ عَنْ هذا الاعتراضِ: بأنَّ القاعدةَ صَحيحةٌ، وهي أغلبيَّةٌ وليست مطَّرِدَةً؛ قاله الْعَلَّامَةُ مُحَمَّد عَلِي آدَم الْأَثْيُوبِيُّ.

[25] جواهر البلاغة؛ للأحمد الهاشمي (ص 165)

[26] وحذْفُهُ كثيرٌ إذا عُلِمَ الْـمُرادُ؛ كما قال ابْنُ مَالِكٍ في الْـخُلَاصَةِ (بَابُ لَا النَّافِيَةِ لِلْجِنْسِ):

وَشَاعَ فِي ذَا الْـبَـابِ إِسْقَاطُ الْـخَبَـر ... إِذَا الْـمُرادُ مَـعْ سُـقُوطِـهِ ظَهَـر

يُـنظر: شرح الـمكودي على ألفية ابن مالك، (1 / 248-249)، نشره: جامعة الكويت.

[27] وهو: الدُّعاءُ؛ ومنه: (**إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَـهُمْ**) [التوبة: 103] أي: دُعَاءَكَ.

يُـنظر: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جُزَيٍّ، (1/ 471).

[28] وهو مِنْ جهةٍ أُخْرَى: حقيقةٌ شَرعيَّةٌ.

[29] شرح التفتازاني على الأحاديث الأربعين النووية، (ص 65).

15 * (وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ).

فيه: اسْتِعْمَـالُ **الزَّكَاةِ** في غَيْـرِ معناهَا اللُّغَوِيِّ[30]، فهو **مجازٌ لُغَوِيٌّ**، وسبقَ نَظيرُهُ قريبًا.

16 * (وَتَصُومَ رَمَضَانَ).

فيه: استعمالُ **الصِّيَامِ** في غير معناهُ اللُّغويِّ[31]، فهو **مجازٌ لُغَوِيٌّ**.

17 * (وَتَحُجَّ الْبَيْتَ).

فيه: اسْتِعْمَـالُ **الْـحَجِّ** في غَيْرِ مَعْنَاهُ اللُّغَوِيِّ[32]، فهو **مجازٌ لُغَوِيٌّ**.

18 * (قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ؛ يَسْأَلُهُ).

فَصَلَ[33] بينَ الْـجُمْلَتَيْنِ؛ لِأَنَّ الجملةَ الثانيةَ بَيَانٌ للجملةِ الْأُولَى، ومِثْلُ هذا يقول البَلاغيُّونَ عنه: **إنَّ بيْنَ الجملَتَيْنِ كمالَ الاتِّصَالِ**[34].

19 * (**وَالْيَوْمِ الآخِرِ**) هو يَوْمُ الْقِيَامَةِ؛ سُمِّيَ بذلكَ، لأنَّه آخِرُ أَيَّامِ الدُّنْيَا، بمَعْنَى: أَنَّه متَّصِلٌ بِآخِرِ أَيَّامِهَـا، لأنَّه ليسَ مِنْهَا حَتَّى يكون آخرَهَا، فهو مِنْ تَسْمِيَةِ الشَّيْءِ باسمِ مُجَاوِرِهِ.

فتَسْمِيَتُهُ بذلك: **مَـجَازٌ مُـرْسَلٌ**، عَلَاقَتُهُ: **الْـمُجَاوَرَةُ**.

ونَظيرُ هَذَا: تَسْمِيَةُ صَلَاةِ الْـمَغْرِبِ **وِتْرَ النَّهَارِ**[35].

---

[30] وهو: النَّمَاءُ والزِّيادَة؛ مِنْ قولِهم: زَكَا الزَّرْعُ إذا نَـمَا.

يُـنظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (3/ 12).

[31] وهو: مُطْلَقُ الْإِمْسَاكِ.

يُـنظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (3/ 252).

[32] وهو الْقَصْدُ.

يُـنظر: مـختار الصحاح للرازي، (ص52)

[33] الْفَصْلُ: هو تَرْكُ عَطْفِ الْـجُمَلِ بِالْوَاوِ؛ والْوَصْلُ: عَطْفُ الْـجُمَلِ بِالْوَاوِ؛ وهو مَبْحَثٌ دَقِيقُ الْـمَأْخَذِ، صَعْبُ الْـمَسْلَكِ.

[34] ويَحتمل أن تكونَ الـجملةُ الثانيةُ وقعتْ جوابًا عن سُؤَالٍ يُفْهَمُ مِن الأُولى؛ فيكون بين الـجُمْلَتَيْنِ: شِبْهُ كمالِ الاتِّصَالِ.

[35] يُـنظر الحديثُ الوارد فيه؛ في السلسلة الصحيحة للألباني، (رقم: 2814).

20 * (**وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**).

فيهِ: **طِبَاقُ الْإِيـجَاب**[36] بَيْنَ (الْـخَيْرِ) و(الشَّرِّ).

21 * (**وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**).

فيه **إِطْنَابٌ**[37]، ونَـوْعُهُ: **التَّكْـرَارُ لِدَاعٍ**؛ إذْ كرَّر العَامِلَ (**تُؤْمِنَ**)؛ و**فائدتُهُ**: الاهْتِمَامُ بشأنْ الْقَدَرِ؛ أوْ لِطُولِ الْعَهْدِ بِالْعَامِلِ كما كُرِّرَ في قولِهِ تعالى: (**إِنِّي رَأَيْـتُ أَحَـدَ عَـشَرَ كَوْكَبًـا وَالـشَّـمْسَ وَالْقَمَـرَ رَأَيْـتُهُمْ لِي سَـاجِدِينَ**) [**يوسف**: 4].

22 * (**قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ**) أي: الْإحسانُ عِبَادَتُكَ اللهَ تعالى، حالَ كونِكَ في عبادتِكَ مِثْلَ حـالِ كَوْنِكَ رَائِيًا له؛ ولا شَكَّ أَنَّ مَنْ قَامَ في عبادَةٍ وهو يُعاينُ رَبَّه، لم يَترُكْ شَيْئًا ممَّا يَقْدِرُ عليه من سائرِ الْكَمَالَاتِ.

فَفِيهِ: **تَشْبِيهٌ**، نوعُهُ: **تَشْبِيهٌ مُـجْمَلٌ**[38].

23 * (**قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟**).

فيه حَذْفُ مُضَافَيْنِ، وَالْـمَعْنَى: أَخْبِرْنِي عَن زَمَنِ وُجُودِهَا؟ ولم يَكُنِ السُّؤَالُ عَنْهَا نَفْـسِهَا؛ لأنَّـهَا مَقْطُـوعٌ بِهَا[39]، قال تعالى: (**وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا**) [الحج: 7].

فَهُوَ مِنْ **الْإِيـجَازِ بِالْـحَذْفِ**.

24 * (**قَالَ: مَا الْـمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**) أي: بأَزْيَدَ عِلْـمًا مِنْـهُ بِهَـا، والْــبَاءُ: زَائِـدَةٌ[40] لِتأكيـدِ النَّفْيِ.

---

[36] **هُوَ: مَا صُرِّحَ فِيهِ بِإِظْهَارِ الضِّدَّيْنِ، أو هُوَ مَا لَمْ يَخْتَلِفْ فِيهِ الضِّدَّانِ إِيـجَابًا وَسَلْبًا.**

[37] **هو أنْ تكون الألفاظُ أكثرَ مِن الْـمَعْنَى لفائدةٍ؛ فإن كانت الزِّيادةُ لغيرِ فائدةٍ، سُمِّيَ حَشْوًا وتَطْوِيلًا، على تَفْصِيلٍ مَعْرُوفٍ عند البلاغِيِّينَ.**

[38] **التَّشْبِيهُ الْـمُجْمَلُ: هو الذِي لَـمْ يُذْكَرْ فيه وَجْهُ الشَّبَهِ.**

[39] **حاشية النبراوي على الأربعين، (ص 42).**

[40] **والـمُرادُ بالزَّائِدِ؛ أي: إعرابًا، وليس الـمعنى: هو الذي لا فائدةَ في ذِكْرِهِ؛ وعلى هذا لا يُعْتَرَضُ على تَـمْثِيلِنا بالآيةِ الكريمةِ؛ وإن كان بعـضُ أهلِ العلْمِ يُسَمِّي الحرفَ الزَّائِدَ في القُرْآنِ: صِـلَةً، تَشْبِيهًا له بصلة الـموصولِ الذِي لا محلَّ له من الإعراب؛ تأدبًا مع القرآن.**

=

فهو مَـجَازٌ بالزِّيَادَةِ؛ والْغَرَضُ منهُ: التَّأْكِـيدُ؛ ونَظيرُهُ: قولُه تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) [الشورى: 11].

25 * (قَالَ: أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا) أي: سَيِّدَتَهَا؛ واختلَفَ العلماءُ في معنَى ذلكَ[41]:

فقيلَ: هو كِـنَايَةٌ عن كَثْرةِ عُقوقِ الأولَاد لأمَّهاتِهم، فيُعاملونَهُنَّ معاملةَ السَّيِّدَةِ أَمَتَهَا، مِن الإهانَةِ والسَّبِّ.

وقيل: غير ذلكَ.

* فَعلى القَوْلِ الْـمَذْكُورِ؛ يكونُ فِيهِ كنايةٌ؛ نَوْعُهَا: كِنَايَةٌ عن صِفَـةٍ.

26 * (وَأَنْ تَرَى الْـحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ).

فِيهِ: إطلاقُ الْعُمُومِ وإرادةُ الخُصُوصِ، وهو مَجَازٌ مُرْسَلٌ، عَلَاقَـتُهُ: الْعُمُومِيَّـةُ.

ويَحتملُ أنْ تكونَ (أَلْ) لتَعْرِيفِ الْـمَاهِيَّةِ أو لِبَيَانِ الْجِنْسِ[42].

27 * (فَلَبِثْتُ مَلِيًّا).

(مَلِيًّا) صفةٌ لـمَوْصُوفٍ محذوفٍ، أي: زَمَانًا طَوِيلًا.

فَهُـوَ مِنَ الْإِيـجَازِ بالْـحَذْفِ؛ ونظيرُهُ فِي حَذْفِ الْـمَوْصُوفِ: قولُـهُ تعـالى: (وَآتَيْنَـا ثَمُـودَ النَّاقَـةَ مُبْـصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا) [الإسراء: 59] أي: آيةً مُبْصِرَةً[43].

28 * (يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟).

هذَا اسْتِفْهَامٌ خَرَجَ عن معْنَاهُ الأَصْلِيِّ، والغَرَضُ منهُ: التَّشْوِيقُ.

ونَظيرُهُ؛ قولُه تعالى: (هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) [44] [الصَّف: 10].

= والظَّاهرُ أنَّ هذا اصطلاحٌ، ولا مُشَاحَّةَ فيه.

يُـنظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، (2/ 318).

ويُـنظر وُجهٌ آخرُ في تسميةِ الزَّائدِ صِلَةً: موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب لخالد الأزهري، (ص 172).

41 يُـنظر: شرح الأربعين النووية؛ -الْـمَنْسُوب- لابنِ دقيق العيد، (ص 31).

42 وذكر ابنُ الْـمُلَقِّنِ أنَّ (أَلْ) تِسْعَةُ أَقْسَامٍ؛ ذكرَها بأمثِلَتِها في شرحِهِ على العُمْدَةِ.

يُـنظر:الإعلام بفوائد عمدة الأحكام لابن الـملقن، (1 / 270-271).

43 يُـنظر: الـبحْـرُ الْـمُحِيطُ؛ لأَبِي حَيَّان الأَنْدَلُسِيِّ، (6/ 51).

44 يُـنظر: حاشية محي الدين شَيْخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي، (8/ 204) ط. دار الكتب العلمية.

29 * (**قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ**) أي: مِن غيرِهِما، فَـ(**مِنْ**) مُقَدَّرَةٌ مَعَ الْـمُفَضَّلِ عليه؛ فهو مِنَ **الْإِيـجَازِ بِالْـحَذْفِ**.

30 * (**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ**) **الفَاءُ**: فَصِيحَةٌ[45]؛ أي: إذا فوَّضْتُم الأمرَ إلى اللهِ ورسولِه؛ فإنه جِبْرِيلُ.
فهو مِنَ **الْإِيـجَازِ بِالْـحَذْفِ**.

31 * وفي لَفْظٍ لِـمُسْلِمٍ: (**هَذَا جِبْرِيلُ**).
فاستعملَ اسْمَ الْإِشَارةِ في غيرِ الْـمُشَاهَدِ، لِتَنْزِيلِه منزلتَهُ؛ لِلاعتنَاءِ بشَأْنِه، وإِحْضَارِه في ذِهْنِ السَّامِعِ.

31 * (**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ**) فأكَّدَ الكلامَ لأنَّ السَّائِلَ طالبٌ مُتَرَدِّدٌ. قاله **التَّفْتَازَانِيُّ**[46].

32 * (**أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**) أي: جاءَكُمْ، وجملة: (**يُعَلِّمُكُمْ**): جملةٌ حاليَّةٌ.
وإسنادُ التَّعليم إليه **مجازٌ عَقْلِيٌّ**، من **الإسنادِ إِلَى السَّبَبِ**؛ لأنَّ جِبْرِيلَ يسألُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فيُجيبُه، فيَعلمونَ الجوابَ؛ وإلَّا فالْـمُعلِّم حقيقةً هو النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم.

هذا ما قَصَدْتُ تَوْضِيحَهُ، وليس هو آخر يُمكِنُ قولُهُ عَنْ هذا الْـحَديثِ الشَّرِيفِ؛ واللهَ أَسْأَلُ أنْ يَنْفَعَ بِهِ طُلَّابَ الْعَرَبِيَّةِ خاصَّةً، وطُلَّابَ العِلْمِ كَافَّةً. آمين.

وصلَّى اللهُ على نَبِيِّنَا مُـحَمَّدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

---

[45] **سُمِّيت بذلك؛ لأنَّها أفصحَتْ عن جوابِ شرْطٍ مُقَدَّرٍ؛ وتُسَمَّى: الْفَاءَ الفَصِيحَةَ، أو فَاءَ الْفَصِيحَةِ، أَوْ فَاءَ الْفَضِيحَةِ -بالضَّاد الْـمُعْجَمَةِ-.**

[46] **شرح التفتازاني على الأحاديث الأربعين النووية، (ص 77).**